قيام روسيا وبروسيا وتأثيراتهما على توازن القوى الدولية خلال القرن الثامن عشر ميلادي

The Rise of Russia and Bruscia and their Impact on the International Balance of Power during the Eighteenth Century

1- د. عبد السلام كمون، جامعة أحمد دراية (أدرار) (الجزائر)
kamouneabdeslam@univ-adrar.edu.dz

تاريخ الاستلام: 08/08/ 2022 تاريخ القبول: 11/29/ 2022 تاريخ النشر: 06/04/ 2023

الملخص:

تعد الدراسة والبحث في موضوع تاريخ أوروبا المعاصرة من مجالات البحث جديرة بالاهتمام، ومن بين تلك المجالات البحثية قيام دولتي روسيا وبروسيا اللتين كان لظهورهما ونهوضهما تأثير كبير على مسرح الأحداث الأوروبية، وقامتا بدور مهم في تاريخ الغرب عموماً، واشتركتا في إدارة دولاب الحياة السياسية الأوروبية، بل أكثر من ذلك تُعدّ هذين الدولتين سببا مباشرا في التطور الحاصل في التاريخ الأوروبي المعاصر.

ومن هنا جاءت هذه الورقة البحثية في سياق الإشادة بأهمية الدولتين القويتين ودورهما الفعال في التأثير على العلاقات بين الدول الأوروبية، كما جاءت هذه الدراسة لتسلط الضوء على أهم الإفرازات والتأثيرات التي أحدثها قيام الدولتين وما تسببتا فيه من تشابك وتعقيد العلاقات الأوروبية إلى درجة تمت فيها إعادة الخريطة السياسية وتغيير موازين القوى بينها.

الكلمات المفتاحية: بروسيا؛ روسيا؛ الدول الأوروبية؛ أوروبا المعاصرة؛ القوى الدولية.

Abstract:

The study of the history of contemporary Europe is one of the important fields of research, including the issue of the establishment of the states of Russia and Prussia, which had a great impact on events in Europe and the history of the West in general, because both countries participated in managing European political life, rather they are the direct cause of the development taking place in contemporary European history.

This research paper came to study the importance of the two powerful countries and their effective role in influencing the relations between European countries and the intertwining and complexity of European relations to the point where the political map was re-mapped and the balance of power between them was changed.

Keywords: Prussia; Russia; European countries; Contemporary Europe; The International Powers.

مقدمة:

قفز جلّ المؤرخين والدارسين لتاريخ أوروبا المعاصرة إلى الحديث عن الثورة الفرنسية والإسهاب فيها بشكل كبير، وذلك باعتبارها معلماً بارزاً ومحطة مهمة في التاريخ الأوروبي المعاصر، وأغفلوا بذلك الكثير من التطورات والأحداث التي كانت سبباً مباشراً أو غير مباشراً للثورة الفرنسية، بل عاملاً مشجعاً ومساعداً على نجاحها، ومن بين تلك الأحداث التي مهدت لهذه الثورة قيام دولتي روسيا وبروسيا على أحد جوانب الإمبراطورية الرومانية المقدسة.

ولقد كان لقيام الدولتين دور مهم في التاريخ الأوروبي، إلى درجة أنه لا يمكننا فهم طبيعة التطور الحاصل في تاريخ الغرب الأوروبي المعاصر دون الرجوع إلى الحديث عن كيفية بروز وظهور هاتين الدولتين على مسرح الأحداث الأوروبية، وما قامتا به من تغييرات وتأثيرات وتطورات في العلاقات الأوروبية خصوصاً والحياة السياسية عموماً، حتى أصبحت السياسات في القارة الأوروبية ترتبط بالموقف الذي تتبناه هاتان الدولتان.

ومن هذا المنطلق جاءت هذه الدراسة لتعالج إشكالية قيام دولتي روسيا وبروسيا، وما أحدثتاه من إفرازات وتأثيرات على العلاقات بين الدول الأوروبية، وما تسببتا فيه من حروب وصراعات بينها نتج عنها تغيير في الخريطة السياسية، وسنعالج هذه الإشكالية من خلال العناصر الآتية:

أولاً: ظروف وأسباب قيام روسيا.

ثانياً: ظروف وأسباب نهوض بروسيا.

ثالثاً: انعكاسات وتأثير الدولتين على العلاقات بين الدول الاوروبية.

أولاً: ظروف وأسباب قيام روسيا.

بدأت روسيا تظهر على مسرح السياسة الأوروبية كدولة حديثة منذ أخذت تهاجم الأتراك العثمانيين في القرن السابع عشر ميلادي، وتحاول أن تجد لنفسها منافذ تساعد على خروجها من عزلتها الآسيوية إلى "المدنية الأوروبية"، ويعرف هذا بالاتجاه نحو الغرب[1].

ظلت روسيا مدة طويلة خارج حدود المدنية الأوروبية حتى غاية القرن السادس عشر، إذ كان الروس من الناحية الجغرافية مطوقين بأمم قوية تسد عليهم المنافذ وتحجب عنهم كل اتصال بأروبا وحضارتها[2]، فالتفتت بغتة نحو أوروبا، وكان وراء هذا التغيير ثلاثة عوامل رئيسة اعترتها في فترة العصور الوسطى هي[3]:

1- خلال القرن التاسع ميلادي تعرضت روسيا لغزو من طرف بعض القبائل الجرمانية بقيادة روريك، فبعث فيها نشاطاً عسكرياً.

2- وفي القرن العاشر ميلادي عندما أوصل خلف روريك حدود الدولة التي شيدها إلى نهر الدنبير، اقتربت من المدنية البيزنطية فاقتبست منها الديانة المسيحية وتمذهبت بالمذهب الأرثوذكسي تاركة وثنيتها الأولى بتأثير المبشرين البزنطيين.

3- وفي القرن الثالث عشر ميلادي، وبينما كانت روسيا تحاول هضم المدنية البيزنطية والدين الجديد، جرفتها موجة من القبائل الآسيوية التترية فسحقتها وأنزلتها درجة العبودية، ورغم أن التتر أجبروا الروس على دفع الضريبة، إلا أنهم تركوا لهم حرية معتقداتهم وقوانينهم، وبعد مدة تقلص وترجع نفوذ المغول التتر، وصار أمراء موسكو من بيت روريك يناهضونهم حتى قطعوا دابرهم في آواخر القرن الخامس عشر، واشتهر من أولائك "إيفان المرعب" (1462-1505م) الذي وحّد المملكة ووسعها وطرد التتر ولقب نفسه قيصراً.

وهكذا استطاع إيفان أن يعلن استقلاله عن امبراطورية المغول، وكان ذلك إيذاناً لنمو دولة جديدة، وفي هذه الفترة كانت أوروبا الكاثوليكية تمتد من شواطئها الغربية حتى بولنده، أما ما وراءها

---

[1] عبد العظيم رمضان، **تاريخ أوروبا والعالم في العصر الحديث**، ج1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1997، ص284.

[2] الفتاح حسن أبو علية وإسماعيل أحمد ياغي، **تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر**، ط3، دار المريخ للنشر، المملكة السعودية، عبد 1993، ص208.

[3] جفري برون، **تاريخ أوروبا الحديث**، ترجمة علي المزروقي، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، 2006، ص312.

باتجاه الشرق، حيث توجد موسكو، فكانت الأرثوذكسية المسيحية هي المذهب الشائع، والسلافية هي اللغة السائدة[1].

وكانت موسكو خلال هذه الفترة تقوم وسط سهول واسعة ممتدة في الاتجاهات الأربعة، مما صعب عليها إيجاد حدود طبيعية ترتكز عليها، فمن الناحية الشمالية كانت السويد آنذاك دولة قوية تحتل شواطئ بحر البلطيق وتسيطر على الملاحة فيه وتسد على الشعب الروسي أي محاولة اتصال بالعالم الخارجي عن طريق سواحله، ومن الغرب كانت بولنده الكاثوليكية تقف حاجزاً منيعاً أمام أي توسع من جانب موسكو نحو الغرب، ومن الجنوب كان الأتراك العثمانيون في أعز قوتهم وبسطوا سلطانهم على خانات القرن فقطعوا الطريق إلى البحر الأسود أمام الروس، مما أجبر الروس على الانتشار باتجاه الشرق.

إن هذا التوجه الروسي نحو الشرق لم يكن مجرد غزو وتوسع بقدر ما هو عمل حضاري متعدد الجوانب، ساعد على انتعاش البلاد مادياً، وهذه الثروة الضخمة جعلت من روسيا مقصداً للعديد من المغامرين الأوروبيين الباحثين عن الثراء والفراء، وأول من وصل إلى روسيا من هؤلاء المغامرين الإنجليزي "ريتشارد تشانسلر" الذي جاءها عن طريق ميناء أركانجل الشمالي[2].

وأمام هذا الحصار السويدي البولندي العثماني لروسيا، كان ميناء أركانجل المنفذ الروسي الوحيد الذي يفتح أمامهم باب الاتصال بأروبا الغربية، إلا أن ما يعاب عليه أنه كان يغلق لفترة طويلة خلال الشتاء بسبب تجمد مياهه، مما أجبر الحكام الروسيون على السعي للمياه الدافئة[3] وهذا المطلب يتطلب وقتاً طويلاً جداً.

تزوج إيفان من أسرة رومانوف التي آل إليها الحكم بعد انقراض سلالة روريك، وأول القياصرة من العائلة الجديدة هو ميخائيل رومانوف وظلت هذه العائلة في سدة الحكم أكثر من نصف قرن ولم يكن فيها من يستحق الذكر حتى إلى غاية القرن السادس عشر تبوأ العرش بطرس الكبير رجل العجائب وأحد أبطال التاريخ[4] وعمره لا يتجاوز السبعة عشر سنة.

---

[1] عبد العزيز سليمان نوار ومحمود محمد جمال الدين، **التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى**، دار الفكر العربي، القاهرة، 1999، ص227.

[2] عبد العزيز سليمان نوار ومحمود محمد جمال الدين، مرجع سابق، ص227.

[3] نفسه، ص228.

[4] جفري برون، مرجع سابق، ص313

يعتبر بطرس الأكبر واحداً من مؤسسي الدولة التي وجدها متأخرة عن الغرب أشواطاً كبيرةً، وكان يرى أن على بلاده لكي تنهض وتتقدم يجب أن تحذو حذو الغرب[1]، وكان هدفه الكبير وشغله الشاغل نقل الحضارة الأوروبية إلى روسيا، وهذه المهمة الصعبة فرضت عليه إصلاحات داخلية واستراتيجية خارجية لكسر الحصار المضروب على بلاده من قبل السويديين والبولنديين والأتراك العثمانيين.

فعلى الصعيد الداخلي، لم تكن هناك مؤسسات قوية تستطيع أن تشارك بطرس الأكبر الحكم أو تفرض نفسها عليها، فكان هناك مجلسين ضعيفين هما "مجلس الدوما" و"المجلس الوطني"[2]، مما ساعد بطرس على السيطرة عليهما والتحكم فيهما ومن ثم تقويضهما وأنشأ على أنقاضهما "مجلس الشيوخ"، وأنشأ حكومات داخلية، وكانت جميع الأجهزة الداخلية تحت سيطرته[3].

كما لجأ بطرس إلى السيطرة بقوة على سلطة الكنيسة لأنها كانت تحارب مجهوداته الكبيرة الهادفة إلى إدخال الحضارة الغربية للبلاد، بل أكثر من ذلك كان يرى في هذه المؤسسة الدينية مظهراً من مظاهر التخلف، فاستغل فرصة وفاة البطريرك وتجاهل تعيين بطريرك جديد، وأوكل إدارتها إلى لجنة من الأساقفة قبل أن يصبح بنفسه على رأسها[4]، أما على الصعيد الخارجي، وقبل أن يتوجه لفك الحصار الثلاثي المضروب عليه، برمج زيارة إلى أوروبا تفقد من خلالها أعمال الغربيين، وكانت هذه الزيارة نقطة تحول بارزة في تاريخ روسيا، إذ أدرك قدرة الغربيين على تفوقهم في المجال الصناعي وخاصة الحربي، ولكي يجعل الطريق سهلة بين روسيا وأوروبا الغربية شيّد عاصمته المعروفة على بحر البلطيق وسماها "سان بطرس برج"[5].

---

[1] زينب عصمت راشد، **تاريخ أوروبا الحديث من مطلع القرن السادس عشر إلى نهاية القرن الثامن عشر**، ج1، دار الفكر العربي، القاهرة، 1986، ص293.

[2] عبد الحميد البطريق وعبد العزيز نوار، **التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة إلى آواخر القرن الثامن عشر**، دار الفكر العربي، القاهرة، 1997، ص224.

[3] عبد العزيز سليمان نوار ومحمود محمد جمال الدين، مرجع سابق، ص232.

[4] شوقي الجمل وعبد الله عبد الرازق، **تاريخ أوروبا من النهضة حتى الحرب الباردة**، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، 2000، ص84.

[5] زينب عصمت راشد، مرجع سابق، ص294.

وفي عام 1725م مات بطرس الأكبر بعد أن وضع القطار الروسي على سكة الحضارة الغربية، وكان أول من فتح للروس نافذة الغرب على مصرعيها وظلت مفتوحة منذ عهده[1]، فاستقدم من أوروبا الآلاف من الفنيين في مختلف فروع الحضارة الأوروبية، واعتنى بتأسيس جيش روسي عصري، والذي سوف يتولى بعده مهمة فك الحصار المضروب على روسيا[2].

وبعد وفاة بطرس الأكبر تعرضت روسيا لعدة أزمات، لكن بعد أن تولت حفيدته "كاترين الثانية"(1762-1796م)[3] الحكم أعادت روسيا إلى نشاطها العسكري الكبير ضد بولنده والدولة العثمانية وفارس، فبالنسبة للدولة العثمانية انتصرت عليها روسيا في حربها الطويلة (1768-1772م)، وانتهت بتوقيع معاهدة "كوجك قينارجي" سنة 1774م التي بمقتضاها حظيت روسيا على الأراضي الواقعة على الساحل الشمالي للبحر الأسود إلى الشرق من نهر آزوف[4]، وكان ذلك إيذاناً بنهاية الدولة العثمانية.

إن هذا التوسع الروسي على حساب البلقان العثماني أقلق كل من بروسيا والامبراطورية النمساوية التي كان البلقان العثماني مجالها الحيوي، وأيضاً هذا التفوق الروسي أحدث خللاً في التوازن الدولي أجبر إمبراطورية النمسا على التحرك سريعاً لوقف نمو القوة الروسية، ومن هنا كانت بوادر الأزمة تلوح في الأفق بين سان بطرسبرج وفيينا قد تنتهي بحرب غير مأمونة العواقب[5].

أما بروسيا من جهتها كانت لا تريد هذه الحرب التي إذا اندلعت ستكون متورطة فيها لا محال، خاصة وأن أوضاعها الداخلية كانت سيئة، ومن ثم وجب عليها إيجاد حلل للأزمة بين الدولتين والمحافظة على التوازن الدولي وذلك عن طريق[6]:

- عدم انطلاق روسيا في البلقان وأن تعيد معظم ما فقدته الدولة العثمانية في البلقان إليها.

---

[1] هربرت فيشر، **أصول التاريخ الأوروبي الحديث من النهضة الأوروبية إلى الثورة الفرنسية**، ط2، ترجمة زينب عصمت راشد وأحمد عبد الرحيم مصطفى، دار المعارف، مصر، 2001، ص369.

[2] عبد العزيز سليمان نوار ومحمود محمد جمال الدين، مرجع سابق، ص233.

[3] هناك كاترين الأولى التي حكمت روسيا في الفترة ما بين 1725 و1727، ورغم قصر مدة حكمها إلا أنها مهدت لعقد تحالف ثنائي روسي نمساوي. للمزيد ينظر: زينب عصمت راشد، مرجع سابق، ص296.

[4] زينب عصمت راشد، مرجع سابق، ص299.

[5] عبد الحميد البطريق وعبد العزيز نوار، مرجع سابق، ص231.

[6] نصري ذياب خاطر، **التاريخ الأوروبي الحديث**، ط1، الجنادرية للنشر والتوزيع، المملكة الأردنية، 2011، ص48.

– اقتسام كل من بروسيا وروسيا والنمسا لدولة بولنده سنة 1772م بموجب معاهدة بطرسبورغ مستغلين ضعفها وظروفها الداخلية[1]، وهكذا ذهبت بولنده ضحية نظير التوازن الدولي الجديد، ولقد فتح هذا التقسيم الأول لبولنده، دون حرب ولا تكاليف، شهية الدول الثلاث لتكرار عمليات التقسيم لاحقاً.

وفي سنة 1793م انقضت روسيا على الأراضي البولندية الشرقية مرة أخرى وكذلك فعلت النمسا، وسمي هذا بالتقسيم الثاني لبولنده، لتتعرض بولندة لتقسيم ثالث سنة 1795م أزيحت بموجبه بولنده من الخريطة[2]، وهكذا وبينما آلت بولنده إلى الزوال هناك دولة كبيرة ظهرت على مسرح الأحداث الأوروبية وهي بروسيا.

ثانياً: ظروف وأسباب نهوض بروسيا.

في أوائل القرن الثامن عشر وتحديداً عام 1715م لم تكن هناك دولة قومية موحدة تدعى ألمانيا، فكانت هذه الأخيرة آنذاك تتكون من 365 ولاية تختلف عن بعضها البعض في العقيدة الدينية وفي الأهداف السياسية وأسلوب الحكم، أما التبعية الرسمية لهاته الولايات فكانت للإمبراطورية الرومانية المقدسة، ولم تكن جميع تلك الولايات تشترك في انتخاب الامبراطور عدا قلة منها مثل: براندنبرج(Brandenburg)، وبافاريا(Bavaria)، وساكسونيا(Saxony)، وهانوفر، وإقليم البلاتين، ولم تكن الرغبة في الوحدة آنذاك واضحة بالرغم من أن ساكسونيا وبافاريا والبلاتين كانوا ميالين للوقوف إلى جانب الامبراطور، بينما منتخبي هانوفر وبراندنبرج تميلان إلى الاستقلال بأمورهما، بل في بعض الأحيان يميلان إلى معارضة الامبراطور في سياسته[3].

وتجدر الإشارة إلى أنه في عهد قريب أصبح للإمارتين المنتخبتين (هانوفر وبراندنبرج) شأن عظيم، فقد أصبح منتخب كل منهما ملكاً، فمنتخب هانوفر جورج الأول أصبح في عام 1714م ملك إنجلترا، وفردريك وليم منتخب براندنبرج أصبح ملكاً على بروسيا.

تُعد بروسيا واحدة من أهم الدول التي ظهرت في العصر الحديث، ومنذ أن عظم شأنها وازدادت قوتها – في منتصف القرن الثامن عشر ميلادي- ارتبطت معظم السياسات في القارة الأوروبية بالموقف الذي يتبناه ملك بروسيا، والنواة الأولى التي نشأت منها بروسيا هي مقاطعة براندنبرج التي أسندت إدارتها لموظف كبير يدعى ماركراف عين من طرف سجسموند امبراطور الدولة الرومانية

---

[1] للاطلاع على هذه الظروف ينظر: عبد الفتاح حسن أبو علية وإسماعيل أحمد ياغي، مرجع سابق، ص217.

[2] نفسه، ص218.

[3] زينب عصمت راشد، مرجع سابق، ص301.

المقدسة[1]، والذي لم يلبث بسبب نمو قوته خلال القرن الرابع عشر أن حصل على لقب ناخب للإمبراطور.

ولقد عانت هذه المقاطعة الكثير من الاضطرابات الداخلية، فقام الامبراطور الروماني في أوائل القرن الخامس عشر ميلادي وتحديداً سنة 1417م ببيعها إلى أسرة هوهنزلرن إحدى الأسر الساكنة جنوبي ألمانيا، وستستمر هذه الأسرة في الحكم إلى غاية الحرب العالمية الأولى 1914م أي زهاء خمسة قرون[2].

شرع رؤساء هذه الأسرة في تطوير وتقوية وتوسيع حدود مقاطعة براندنبرج بالتدريج إلى أن اندلعت أزمة الحروب الدينية التي اجتاحت ألمانيا خلال النصف الأول من القرن السادس عشر ميلادي، أدخلت حكام هذه المقاطعة في وضع مضطرب، فرأى منتخب براندنبرج أن مصلحته تقتضي أن يقف إلى جانب الأمراء الألمان للحفاظ على البروتستانتية ضد الامبراطورية الرومانية الكاثوليكية بزعامة شارل الخامس، ورغم ذلك ظل حكام مقاطعة براندنبرج على هامش الأحداث الكبرى حتى امتدت سيطرتهم إلى بروسيا، ومن ثم برز دورهم في المجال الدولي، ويعتبر هذا الامتداد من أهم التطورات الأوروبية في القرنين السابع عشر والثامن عشر ميلاديين[3].

ولتبيان الكيفية التي آلت بها بروسيا إلى حكام هوهنزلرن حري بنا إن نلقي نظرة عامة على أوضاع بروسيا قبل ذلك، فخلال القرن الخامس عشر ميلادي كانت بروسيا تحت حكم الفرسان التيوتون وكانوا على قوة كبيرة فاصطدموا بالدولة المجاورة بولندة القوية، وحلت الأزمة بينهما بموجب تقسيم بروسيا إلى غربية تابعة لبولندة، وشرقية للتيوتون[4].

ونظراً لكون نظام التيوتون أصبح غير ملائماً للظروف الحالية تدهورت اوضاع بروسيا الشرقية، وأصبحت تحت حكم فرع من فروع أسرة هوهنزلرن، فطبيعي جدا أن يكون هناك تقارب وثيق بين الفرعين، وكانت فرصة لتوحيد ممتلكات الفرعين تحت حكم منتخب براندنبرج عقب وفاة حاكم بروسيا الشرقية دون وريث.

ومما تجب الإشارة إليه إلى أنه بالرغم من أن بروسيا الشرقية كانت تفتقر إلى مكونات الدولة من مال وسكان إلا أن انضمامها إلى حكم الهوهنزلرن أعطى لهذه الأسرة طاقة بشرية صلبة تطيع حكامها طاعة عمياء، إلا أن ما يعاب على بروسيا الشرقية أنها كانت تجاور دولة قوية وهي بولندة، وأن

---

[1] عبد الحميد البطريق وعبد العزيز نوار، مرجع سابق، ص243.

[2] جفري برون، مرجع سابق، ص315.

[3] عبد العزيز سليمان نوار ومحمود محمد جمال الدين، مرجع سابق، ص244.

[4] نفسه، ص244.

بروسيا كانت مجرد امتداد للسهل البولندي، فلم تكن لبروسيا الشرقية حدود جغرافية تستند إليها سياسياً وعسكرياً، مما جعل حكام أسرة هوهنزلرن في وضعية حرجة خاصة وأن وراثة هذه الأسرة لبروسيا لم يؤدي إلى قطع نهائي لعلاقاتها الإقطاعية مع بولندة[1].

وفي الوقت الذي أصبحت فيه بروسيا الشرقية تحت حكم هوهنزلرن براندنبرج، كان هؤلاء قد بسطو سيطرتهم على الأراضي الألمانية الواقعة على نهر الراين، وهذا يعني أن ثلاث مجموعات باتت واقعة تحت حكم أسرة الهوهنزلرن بزعامة جورج وليم(1619-1640م) عندما اندلعت حرب الثلاثين عاماً(1618-1648م)[2] وهي:

- بروسيا الشرقية وتفصلها عن أراضي براندنبرج بروسيا الغربية البولندية، براندنبرج، ممتلكات هوهنزلرن الواقعة على نهر الراين.

وهذا يبين لنا أنه من سوء حظ جورج وليم أن تكون ممتلكاته هذه متناثرة، وأن توحيدها يفرض عليه كثيرا من التحديات الداخلية والخارجية وأخطرها الخارجية المتمثلة في مواجهة القوى الكبرى المحيطة بها وهي: من الشرق بولندة، ومن الغرب فرنسا، ومن الشمال السويد، ومن الجنوب الامبراطورية النمساوية، لكن للأسف -ومن سوء الطالع- ضخامة الجيوش المشتركة في حرب الثلاثين عاماً وقسوة التخريب الذي حل بالبلاد من العوامل التي وقفت حاجزاً أمام توحيد ممتلكات جورج وليم وجعلته قزماً بجوار العمالقة[3].

إن هذه الوضعية التي تركها جورج وليم أفادت كثيراً خلفه فردريك وليم(1640-1688م)، فقد استفاد من دروس السياسة والحرب، ضف إلى ذلك أن توحيد بروسيا الشرقية وبراندنبرج كان قد مر عليه وقتاً طويلاً نسبياً وبدأ يؤتي أكله، ونلاحظ أن جورج جاء في وقت اندلاع الحرب بينما فردريك جاء في وقت انطلاق المفاوضات، إذ أدرك هذا الأخير أنه عليه استغلال ضعف الجيوش الأوروبية التي أنهكتها الحروب، وذلك باستبدال جيش المرتزقة بجيش عصري من رعيته يسمح له بالمساهمة في هذه المفاوضات[4].

أدرك فردريك أنه كان لا بد له – من أجل تحقيق أهدافه- أن يفتك اعتراف بعض الدول الأوروبية، وكذلك أن يصفي تلك الارتباطات الإقطاعية المرتبطة بين بروسيا الشرقية وبولندة، فكانت

---

[1] عبد الحميد البطريق وعبد العزيز نوار، مرجع سابق، ص239.

[2] عبد العزيز سليمان نوار وعبد المجيد نعنعي، **التاريخ المعاصر أوروبا من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية**، دار النهضة العربية للنشر، بيرت، 1973، ص20.

[3] عبد العزيز سليمان نوار ومحمود محمد جمال الدين، مرجع سابق، ص146.

[4] عبد الفتاح حسن أبو علية وإسماعيل أحمد ياغي، مرجع سابق، ص194.

الخطوة الأولى تشكيل تحالف ثنائي مع السويد ضد بولندة حصل بموجبه على اعتراف السويد به دوقاً على بروسيا الشرقية، ولم يلبث أن انتصر على السويد نفسها عام 1675م، وكان هذا الانتصار إرهاصاً للعظمة الآتية لاحقاً[1].

خلف فردريك الثالث(1688-1713) والده بعد وفاته، ورغم ضعف الابن ومرضه إلا أنه حقق انتصاراً كبيراً لعائلته ولبروسيا، فاستغل نزاع الامبراطور الألماني مع العرش الفرنسي، فحصل بموجب دعمه للإمبراطور على وعد بمساعدات مالية وعسكرية في حالة نشوب الحرب[2]، كما حصل على لقب ملك بروسيا، وتوج ملكاً على بروسيا سنة 1701م تحت اسم فردريك الأول، وأطلق على أملاك الهوهنزلرن في ألمانيا لقب مملكة بروسيا[3].

أما الملك الثاني لمملكة بروسيا فهو فردريك وليم الأول(1713-1740)، وفي عهده قويت دعائم المملكة البروسية خاصة على الصعيد الداخلي، وسار على نهج جده فردريك وليم في الاعتناء بالجيش وتطويره، توفي سنة 1740م، وخلفه ابنه فردريك الثاني(1740-1786م) الذي قام بإصلاحات جدية وعميقة على الصعيدين الداخلي والخارجي، وحقق عدة إنجازات، ففي سنة 1769م اقترح فردريك الثاني على روسيا فكرة تقسيم جزء من بولنده بين الدول الثلاث بروسيا وروسيا والنمسا، لكن روسيا لم ترحب بذلك لأنها كانت رافضة لأي توسع بروسي نحو الشرق من جهة، ومن جهة أخرى هابت ازدياد القوة البروسية إذا آلت ألبها ممتلكات بولنده[4].

وفي يناير 1772م تمكن ملك بروسيا من إقناع روسيا بتقسيم بولنده لتلحق بعدها أيضا النمسا في أوت من نفس السنة، وفقدت بذلك بولندا حوالي أربعة ملايين من سكانها و25 ألف ميل مربع من مساحتها، ومر هذا التقسيم دون أي اعتراض من الدول الأوروبية، وبذلك يكون فردريك الثاني قد نهض بروسيا نهضة عظيمة.

ثالثاً: انعكاسات وتأثير الدولتين على العلاقات بين الدول الاوروبية.

كان لظهور كلتا الدولتين: بروسيا وروسيا على أحد جوانب الامبراطورية الرومانية المقدسة (الامبراطورية النمساوية) سبباً أساسياً في تعقد وتشابك علاقات الدول الأوروبية بعضها ببعض، إذ كانت بروسيا ملكية بروتستانتية، وروسيا ملكية أرثوذكسية، في حين كانت الامبراطورية النمساوية ملاذ وأمل الكاثوليكية في أن تستعيد تفوقها على حساب البروتستانت في أروبا وخارجها.

---

[1] عبد الحميد البطريق وعبد العزيز نوار، مرجع سابق، ص243.

[2] هربرت فيشر، مرجع سابق، ص391.

[3] عبد الفتاح حسن أبو علية وإسماعيل أحمد ياغي، مرجع سابق، ص196.

[4] زينب عصمت راشد، مرجع سابق، ص310

وكانت الامبراطورية النمساوية متصلة من قلب أوروبا باتجاه الشرق حتى مناطق الصدام الصليبي بينها وبين الدولة العثمانية في شمال البلقان، كما حصلت الامبراطورية النمساوية على الأراضي المنخفضة (بلجيكا) من اسبانيا بموجب معاهدة أوترخت 1713م، ولكن هذه الممتلكات النمساوية الجديدة المجاورة لفرنسا -العدوة التقليدية لها- أصبحت تشكل عبئاً ثقيلاً على الامبراطورية بسبب الصعوبة الشديدة في الدفاع عنها من غزو الجيوش الفرنسية لها[1]، ومن بين الانعكاسات والتأثيرات التي ترتبت عن قيام وظهور بروسيا وروسيا على مسرح أحداث القارة الأوروبية نذكر ما يأتي:

1- حرب الوراثة النمساوية(1740-1748م): كان لتغيير ثلاثة حكام في أروبا عام 1740م أثر عميق في تغيير سياسة الدول الأوروبية، فمات ملك بروسيا في ماي فخلفه على العرش فردريك الثاني أو العظيم، وماتت قيصرة روسيا آن في أكتوبر وخلفها القيصر إيفان السادس وبعده إليزابيث على عرش روسيا، ومات الامبراطور النمساوي شارل السادس وأوصى بتولية العرش لابنته ماريا تريزا.

غير أن الشيء المألوف أن الامبراطورية شأنها شأن البابوية لا تؤول إلى إمرأة مهما كانت الظروف، لذلك سعى الامبراطور شارل السادس خلال عشرين عاماً إلى تحقيق وضمان هدفه الرامي إلى تولية ابنته وريثته الوحيدة عرش الامبراطورية، وبذل في سبيل ذلك تضحيات جسام[2] من أجل افتكاك موافقة جميع الأقاليم التابعة له وجميع الدول العظمى، والتي اعترفت له جميعها بالضمان الوراثي عدا بافاريا[3].

وما إن تم إسناد العرش لماريا تريزا حتى حدث انشقاقٌ داخل النمسا نفسها، وكان كفيلاً بأن يحث الطامعين في العرش بأن يمتشقوا الحسام لانتهاز الفرصة، ولقد عارض هذه التولية منذ الوهلة الأولى حكام كثيرون من ذوي الأطماع وعلى رأسهم[4]:

---

[1] عبد العزيز سليمان نوار ومحمود محمد جمال الدين، مرجع سابق، ص255.

[2] الدوافع التي كانت وراء الامبراطور لتقديمه هذه التضحيات هو أنه لم يكن له ولد يورثه، ومن هذه الضمانات الوراثية موافقة الولايات الألمانية عام 1713م، ومن بعدها اسبانيا 1726م مقابل شروط سرية تتمثل في تزويج ابني اليزابيث فرتيز ملكة اسبانيا من أميرتين من البيت المالك النمساوي أملاً في أن يحقق لهما ذلك الزواج بعض المكاسب من أملاك الامبراطورية. للمزيد ينظر: زينب عصمت راشد، مرجع سابق، ص258.

[3] عبد العظيم رمضان، **تاريخ أوروبا والعالم في العصر الحديث**، ج1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1997، ص284.

[4] فاضل حسين وكاظم هاشم نعمة، **التاريخ الأوروبي الحديث 1815-1939**، ط1، وزارة التعليم العالي العراقية، العراق، 1982، ص6.

- شارل ألبرت ملك بافاريا، مستغلاً لتحقيق هدفه أمرين اثنين أولهما: صداقته مع فرنسا، وثانيهما: صلة المصاهرة التي كانت تربطه بأسرة الهابسبرج، فقد كان متزوجاً من ابنة جوزيف الأول الامبراطور السابق لشارل السادس وأخوه الأكبر، وقد ادعى أن هناك اتفاقٌ أبرم سنة 1546م ينص أنه في حال خلو الذرية من الذكور تؤول إليه أملاك النمسا.
- اسبانيا كانت تطمع في ما تملكه النمسا من مساحات واسعة في إيطاليا.
- تطلع ملك سردينيا شارل إيمانويل إلى وضع يده على ميلان.
- تطلع فرنسا إلى بسط سيادتها على الأراضي المنخفضة (النمساوية) ولوكسمبرج.
- رغبة أغسطس منتخب ساكسونيا في بعض الممتلكات النمساوية متخذاً من زوجته النمساوية ذريعة لذلك.
- ولكن فردريك الثاني(1740-1786م) ملك بروسيا كان أخطر وأحدق الطامعين في ممتلكات الامبراطورية النمساوية، وكان رجلا عبقرياً محنكاً، ومدركاً تمام الإدراك أنه من أجل الاحتفاظ بمملكته وجب عليه مواجهة العمالقة الرابضين حوله وعلى مقربة من مملكته[1]، وإلى جانب هذه المطامع الشخصية التي كانت سبباً مباشراً في وقوع حرب الوراثة النمساوية، هناك عوامل أخرى عميقة أدت إلى تحطيم النظام القائم في أوروبا آنذاك؛ حسبنا أن نذكر أهمها[2]:
- إن التحالف القائم بين فرنسا وإنجلترا سنة 1717م لم يكن تحالفاً طبيعياً قائماً على الود والصداقة فحسب، بل دفعتهما المصالح الداخلية والخارجية الخاصة، فكان من الطبيعي أن ينهار هذا التحالف متى انتهت المصلحة، لتشتعل نار الحرب بينهما فعلياً سنة 1744م.
- نمو بروسيا كدولة قوية مستعدة وقادرة على منازعة الامبراطور سلطته في ألمانيا، وهو ما أظهرته خلال حرب الثلاثين عاماً أنها القائد الطبيعي للولايات الألمانية الشمالية.
- ضعف مركز الامبراطورية النمساوية بسبب التنازلات الكبيرة التي قدمها شارل السادس للدول الأوروبية لأجل ضمان الحق الوراثي لابنته تريزا، وهو ما ساعد على تراجع نفوذ الامبراطور في ألمانيا، وأخذت روسيا تحتل ما كان للنمسا من نفوذ.

---

[1] عبد الحميد البطريق وعبد العزيز نوار، مرجع سابق، ص251.

[2] إريك هوبزباوم، **عصر الثورة أوروبا (1789-1848م)**، ط1، ترجمة فايز الصياغ، تقديم مصطفى الحمارنة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2007، ص136.

اندلعت الحرب في شهر ديسمبر 1740م إثر هجوم خاطف شنه الملك البروسي فردريك الثاني استولى به على سليزيا مفتتحاً بذلك حرب الوراثة النمساوية، فكان هذا الاستيلاء الغادر على أهم قطعة من أراضي الامبراطورية النمساوية ضربة قوية وموجعة لها، وكان لهذا الهجوم الذي دفع الامبراطورية النمساوية لإعلان الحرب ضد بروسيا[1] أثراً مباشراً في تغيير الموقف الدولي، إذ شجع منتخب بافاريا شارل ألبرت على المطالبة بأحقيته في عرش الامبراطورية، وقررت فرنسا أن تتدخل لصالح بافاريا، وجاء موقف إنجلترا بإقناع تريزا على التنازل لفردريك على بعض أراضيها لكنها رفضت، وهو ما دفع فردريك إلى عقد اتفاقاً مع فرنسا وشارل ألبرت سنة 1741م، وقد أبدت فرنسا استعدادها لتأييد مطالب فردريك في سليزيا، في حين رفض هذا الأخير تأييد مطلب منتخب بافاريا (حليف فرنسا) بشأن مطالبته بالتاج الامبراطوري[2].

وفي سبتمبر تقدم البافاريون نحو فيينا واضطرت تريزا إلى الفرار للمجر، بعد ذلك وافقت - بمضض- على اقتراح إنجلترا، ونتج عن ذلك انسحاب البروسيين من مواقعهم ودخول الجيش النمساوي بافاريا واستولى عليها سنة 1742م، لكن هذا الانتصار النمساوي أقلق فردريك الثاني ونقض اتفاقيته مع تريزا وحاصر الجيش النمساوي في ماي 1742م، وهو ما أدى إلى الاتفاق ثانية بين فردريك وتريزا في جويلية 1742م فتنازلت له هذه الأخيرة على سليزيا وانسحب فردريك ثانية من الحرب[3].

وظل فردريك يراقب تحركات الجيش النمساوي عن كثب، وذلك مخافة أن تتاح له فرصة استرداد وانتزاع سليزيا منه، ولذلك استغل فرصة مهاجمته الألزاس واللورين، لتصبح فرنسا في موقف المدافع عن نفسها وكانت وضعيتها صعبة للغاية، فإنجلترا بمثابة مدفع كبير مصوب باتجاه فرنسا من الشمال، وشارل إيمانويل ملك سردينيا بمثابة خنجر في جنب فرنسا من الشرق، ومختصر القول أصبحت فرنسا سنة 1742م، في موقف مشابه لما كانت عليه الامبراطورية النمساوية سنة 1741م وبدا هناك خطة لاقتسامها[4].

غير أن فردريك أدرك خطورة الانتصار النمساوي على فرنسا، وأدرك أيضاً أنه إذا جثمت فرنسا على ركبتيها فإن دور بروسيا آت لا محال، ولهذا تحرك فردريك فجأة وبسرعة فدخل مع الجيش النمساوي في حرب من جديد، فهزمه في جويلية 1744م، لكن تريزا رفضت الاستسلام وظلت تحارب إلى أن قضت على جميع جيوشها، وهو ما أجبرها على الرضوخ وقبول شروط صلح درسدن في ديسمبر

[1] عبد العزيز سليمان نوار ومحمود محمد جمال الدين، مرجع سابق، ص257.

[2] زينب عصمت راشد، مرجع سابق، ص271.

[3] زينب عصمت راشد، مرجع سابق، ص272.

[4] عبد العزيز سليمان نوار ومحمود محمد جمال الدين، مرجع سابق، ص259.

1745م، وبمقتضى هذا الصلح تنازلت تريزا نهائياً على سليزيا لصالح فردريك، وبالمقابل اعترفت بروسيا بفرنسيس زوج تريزا امبراطوراً وانسحبت نهائياً من الحرب[1].

وهكذا بدأت وضعية فرنسا تميل إلى الانفراج لصالحها، فبينما انشغلت القوات النمساوية بمنازلة القوات البروسية، ركزت فرنسا جهودها العسكرية ضد الجيش الإنجليزي وحلفائه في الأراضي المنخفضة، وحققت عدة انتصارات في ماي 1745م وجويلية 1746م، غير أن آمال ملك فرنسا لويس الخامس عشر في إحلال شارل إدوارد محل جورج الثاني الهانوفري على عرش إنجلترا لم تتحقق بسبب تمسك الشعب الإنجليزي بأسرة هانوفر البروتستانتية من جهة، واستعانة الإنجليز بجيش روسي مولوه بأموالهم من جهة ثانية، وهكذا تبخرت آمال فرنسا في إبقاء سيطرتها على الأراضي المنخفضة[2].

وفي هذه السنوات بدت وكأن القوى المتصارعة عجزت عن تغيير خريطة أوروبا ولم يحقق أي طرف انتصاراً يرغم الطرف الآخر على الخضوع لشروطه، ولهذا اتجهت النيات إلى إنهاء الحرب، وتم ذلك في صلح إكس لاشابيل أكتوبر 1748م[3] الذي أنهى مشكلة الوراثة النمساوية بالطريقة التي أرادتها تريزا، وهي اعتراف ملك اسبانيا بفرانسيس إمبراطوراً.

أ- نتائج حرب الوراثة النمساوية:

– أصبحت بروسيا في مصاف الدول العظمى، فقد تعهدت جميع الدول في مؤتمر إكس لاشابيل بضمان حق بروسيا في سليزيا، وهو ما أكسبها ثروة ورجالاً.

– بدأت العلاقة بين فرنسا والنمسا تتغير بفضل المستشار النمساوي كاونتز الذي بدأ يخطب ود فرنسا ورأى فيها الحلف الطبيعي لبلاده، وأن فرنسا هي الأخرى أدركت أن حليفها ملك بروسيا لن يتوانى في الإنقلاب عليها إذا ما توسعت في الأراضي المنخفضة وأراضي الراين، وأن أهدافها لن تتحقق إلا بإرضاء النمسا وتحقيق تعاون بين الطرفين لإعادة رسم خريطة أوروبا وفق ما يخدم مصلحتهما.

– خروج بريطانيا من الصلح دولة عظيمة، فتعهدت لها اسبانيا باحتفاظها بالمكانة التي كانت تتمتع بها في تبادل التجارة معها ومع مستعمراتها.

2- حرب السنوات السبع(1756-1763م):

---

[1] زينب عصمت راشد، مرجع سابق، ص274.

[2] جمال محمود حجر، **من قضايا التاريخ الأوروبي في القرنين التاسع عشر والعشرين**، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2003، ص23.

[3] رونالد ستورمبورج، **تاريخ الفكر الأوروبي الحديث 1601-1977**، ترجمة أحمد الشيباني، دار القارئ العربي، مصر، 1994، ص184.

سبق هذه الحرب حدث هام في العلاقات الأوروبية أطلق عليه المؤرخون الانقلاب السياسي لعام 1756م، والمقصود به ذلك التغيير الجوهري الذي حدث في العلاقات الأوروبية عندما تحالفت النمسا مع فرنسا، وبروسيا مع إنجلترا، فما هي العوامل المؤدية إلى هذا الإنقلاب؟

أ-**العوامل المؤدية إلى الانقلاب السياسي**:

تعددت وتنوعت العوامل التي كانت وراء هذا الانقلاب الدبلوماسي الأوروبي، وحسبي أن أذكر أهمها:

- تهديد أسرة الهوهنزلرن لأسرة الهبسبورغ، حيث اتضح جلياً للمستشار النمساوي كاونتز ريتبرج منذ 1753م أن عدو الامبراطورية النمساوية لم يعد بيت البوربون كما كان من قبل، وإنما هناك عدو آخر خطير وهو بيت الهوهنزلرن في بروسيا، وأن إنجلترا التي كانت تعتمد على قوتها البحرية حليفة النمسا القديمة أصبحت غير مجدية، ورأى كاونتز أن الحليف البري القوي البديل الممكن الاعتماد عليه في مواجهة الخطر البروسي هو فرنسا[1].

وكرد فعل فردريك إزاء هذا التحول في العلاقات الفرنسية النمساوية هو عقد اتفاق ثنائي مع إنجلترا عدوة فرنسا في يناير1756م عرف باتفاق وستمنستر، فدفع على هذا الاتفاق البروسي - الإنجليزي لويس الخامس عشر إلى عقد اتفاق ثنائي مضاد مع النمسا في أول ماي 1756م عرف بحلف فرساي، واتفق فيه الطرفان على إنزال 24 ألف مقاتل في حالة تعرض إي منهما لهجوم دولة ثالثة[2].

- استرداد سليزيا، وكان هذا الأمر مهماً بالنسبة للنمسا التي أدركت عدم جدوى التحالف مع إنجلترا لأنها لن تزودها بالقوات الكافية لاسترجاع سليزيا من بروسيا.

- تخوف فردريك الثاني من العدوان الروسي، علماً أن فرنسا لم تكن هي البادئة في الإنقلاب السياسي، وإنما هو فردريك الثاني الذي كان يرى في التحالف مع إنجلترا خطة استراتيجية ناجعة للمحافظة على مملكته المهددة من الخطر الروسي المتاخم لحدودها[3].

ب- سير وحيثيات الحرب: وقعت هذه الحرب في الميادين الثلاث: ألمانيا وهي أشهر ميادينها، وفي عرض البحار، ثم في الهند وأمريكا الشمالية، ولقد بدأت حرب السنوات السبع إثر هجوم خاطف شنه فردريك الثاني على ساكسونيا في آواخر أوت 1756م، وأرغم جيشها على الاستسلام في أكتوبر 1756م، إلا أن الجيش البروسي لم يلبث أن مُني بهزيمة نكراء في جوان 1757م، ومما زاد في تعقيد الأمور هو

[1] زينب عصمت راشد، مرجع سابق، ص281.

[2] عبد العزيز سليمان نوار ومحمود محمد جمال الدين، مرجع سابق، ص264.

[3] محمد قاسم وحسين حسني: **تاريخ القرن التاسع عشر في أوروبا منذ عهد الثورة الفرنسية إلى نهاية الحرب العظمى**، ط6، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1929، ص24.

توقيع معاهدة فرساي الثانية بين النمسا وفرنسا في أول ماي 1757م، وفيها تعهدت فرنسا باحتفاظها ب 105 آلاف من جيش المرتزقة الألمان، وأن تدفع للنمسا مساعدة مالية ضخمة، وفي المقابل طالبت بأربع مدن فقط في الأراضي المنخفضة النمساوية وأن يحكم الباقي الدوق فيليب زوج ابنة الملك الفرنسي شارل الخامس، وهذه الشروط كلها مرهونة باسترداد ماريا تريزا لسليزيا[1].

وفي اتجاه آخر وقعت روسيا والنمسا تحالفًا دفاعيًا هجوميًا في ماي 1757م، وأصبح الجيش البروسي في وضعية حرجة للغاية، وسعى لإنقاذ بلاده بإحياء التحالف الفرنسي لكن دون جدوى، مما دفعه إلى خوض غمار الحرب معتمدا على قوته، ورغم الانتصارات التي حققها فردريك على فرنسا والنمسا، إلا أن جيشه كان في متناول جيوش الأعداء، وهكذا في نهاية العام 1759 ومطلع عام 1760 بدا واضحاً أن الجيش البروسي أصبح عاجزاً عن مواصلة الحرب ضد العمالقة[2].

وشاء القدر أن يضيف فرصة أخرى لفردريك إثر الشكوك التي قامت بين أعدائه الروسيين والنمساويين، هذا من جهة، ومن جهة أخرى كان لموت إليزابيث قيصرة روسيا في 5 يناير1762م أثر كبير في تغيير التوازن الدولي، واعتلى العرش الدوق باسم بطرس الثالث الذي أمر على الفور بعقد هدنة مع فردريك الثاني، وعقدت السويد أيضاً الصلح مع بروسيا في ماي 1762م، وما كاد فردريك يتنفس الصعداء حتى توفي بطرس الثالث لتعتلي العرش القيصرة كاترين الثانية الطموحة، هذا في الوقت الذي ضعفت فيه النمسا ولم يعد في استطاعة تريزا أن تستعيد سليزيا، وفي الأخير دفعت هذه التطورات كل من بروسيا والنمسا وروسيا إلى التفاوض والصلح في اتفاقية هبرتسبورج في 15 فبراير1763م[3]، والتي أعادت الأوضاع إلى ما كانت عليه قبل وقوع الحرب، وهكذا أدت تلك الظروف إلى توقف الحرب في كافة الميادين، بينما أنهى صلح باريس المنعقد في 10 فبراير 1763م[4]، الحرب بين فرنسا وإنجلترا واسبانيا، وخرجت إنجلترا من الحرب منتصرة على فرنسا.

وهكذا مهدت حرب السنوات السبع لثورة سكان المستعمرات الإنجليزية في امريكا الشمالية وتحولت هذه الثورة إلى حرب الإستقلال الأمريكية، كما استنزفت حرب السنوات السبع الخزينة الفرنسية ووجهت ضربة قاضية للملكية الفاسدة وأضاعت مستعمراتها ومهدت بذلك للثورة الفرنسية.

خاتمة:

[1] عبد العزيز سليمان نوار ومحمود محمد جمال الدين، مرجع سابق، ص265.

[2] نفسه، ص267.

[3] زينب عصمت راشد: المرجع السابق، ص288.

[4] نفسه، ص291.

وفي الأخير ومن خلال ما سبق التطرق إليه في هذه الورقة البحثية من دراسة وعرض وتحليل نخلص إلى جملة من النتائج أهمها:

- تُعدُّ كل من بروسيا وروسيا من أهم الدول الأوروبية التي ظهرت على مسرح السياسة الأوروبية كدولتين حديثتين، فبالرغم من بقائهما مدة طويلة خارج حدود المدنية الأوروبية بسبب الظروف والعوامل التي اعترتهما من جهة، وبالرغم من تأخرهما عن ركب وحضارة الدول الأوروبية الأخرى من جهة ثانية، إلا أنهما تمكنتا من فرض وجودهما لاحقاً على مسرح الأحداث الأوروبية.
- استطاعت بروسيا وروسيا في وقت قريب أن تبرزا كدولتين قويتين فعظم شأنهما وازدادت قوتهما، حتى أصبحت السياسات في القارة الأوروبية تعتمد وترتبط بمواقف وسياسة هاتين الدولتين.
- كان لظهور بروسيا وروسيا على أحد جوانب الامبراطورية النمساوية سبباً أساسياً في تعقد وتشابك علاقات الدول الأوروبية بعضها ببعض، فبروسيا كانت ملكية بروتستانتية، وروسيا ملكية أرثوذكسية، في حين كانت الامبراطورية النمساوية ملاذ وأمل الكاثوليكية في أن تستعيد تفوقها على حساب البروتستانت في أوروبا وخارجها.
- طبيعي جدا أن يُحدث ظهور أي دولة وبروزها عدة تغيرات وتطورات على مسرح الأحداث، وهو حال بروسيا وروسيا اللتان تسببتا في حربين أوروبيتين: "حرب الوراثة النمساوية 1740-1748"، و "حرب السنوات السبع 1756-1763"، ومن أهم نتائجهما بروز بروسيا كدولة قوية في مصاف الدول العظمى، تراجع وتقلص مركز الامبراطورية النمساوية، تحالف النمسا مع فرنسا بعد عداء طويل دام أكثر من قرنين ونصف من الزمن، وتحالف بروسيا مع إنجلترا حفاظاً على ممتلكاتها المهددة من الخطر الروسي المتاخم لحدودها.
- انتهت الحربان بإحداث تطورات جوهرية في تاريخ العلاقات الأوروبية وتغيير جذري في الخريطة السياسية، ومن ثم عودة التوازن الدولي الأوروبي بإزاحة دول من على الخريطة الأوروبية (بولندة مثلاً) وظهور دول أخرى كبروسيا وروسيا، وكانت أهم نتيجة عن هذا التغيير اندلاع الثورة الفرنسية سنة 1789 التي مثّلت منعطفاً حاسماً في تاريخ أوروبا المعاصرة.

قائمة المصادر والمراجع:

1. إريك هوبزباوم، **عصر الثورة أوروبا (1789-1848م)**، ط1، ترجمة فايز الصياغ، تقديم مصطفى الحمارنة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2007.

2. الفتاح حسن أبو علية وإسماعيل أحمد ياغي، **تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر**، ط3، دار المريخ للنشر، المملكة السعودية، عبد 1993.
3. جفري برون، **تاريخ أوروبا الحديث**، ترجمة علي المزروقي، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، 2006.
4. جمال محمود حجر، **من قضايا التاريخ الأوروبي في القرنين التاسع عشر والعشرين**، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2003.
5. رونالد ستروميورج، **تاريخ الفكر الأوروبي الحديث 1601-1977**، ترجمة أحمد الشيباني، دار القارئ العربي، مصر، 1994.
6. زينب عصمت راشد، **تاريخ أوروبا الحديث من مطلع القرن السادس عشر إلى نهاية القرن الثامن عشر**، ج1، دار الفكر العربي، القاهرة، 1986.
7. شوقي الجمل وعبد الله عبد الرازق، **تاريخ أوروبا من النهضة حتى الحرب الباردة**، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، 2000.
8. عبد الحميد البطريق وعبد العزيز نوار، **التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة إلى آواخر القرن الثامن عشر**، دار الفكر العربي، القاهرة.
9. عبد العزيز سليمان نوار وعبد المجيد نعنعي، **التاريخ المعاصر أوروبا من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية**، دار النهضة العربية للنشر، بيرت، 1973.
10. عبد العزيز سليمان نوار ومحمود محمد جمال الدين، **التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى**، دار الفكر العربي، القاهرة، 1999.
11. عبد العظيم رمضان، **تاريخ أوروبا والعالم في العصر الحديث**، ج1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1997.
12. فاضل حسين وكاظم هاشم نعمة، **التاريخ الأوروبي الحديث 1815-1939**، ط1، وزارة التعليم العالي العراقية، العراق، 1982.
13. محمد قاسم وحسين حسني: تاريخ القرن التاسع عشر في أوروبا منذ عهد الثورة الفرنسية إلى نهاية الحرب العظمى، ط6، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1929.
14. نصري ذياب خاطر، **التاريخ الأوروبي الحديث**، ط1، الجنادرية للنشر والتوزيع، المملكة الأردنية، 2011.
15. هربرت فيشر، **أصول التاريخ الأوروبي الحديث من النهضة الأوروبية إلى الثورة الفرنسية**، ط2، ترجمة زينب عصمت راشد وأحمد عبد الرحيم مصطفى، دار المعارف، مصر، 2001.